Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هكذا توالدت القصص والحكايات وتفاقمت الاندماجية وشهوة الكلام ولذة الحكي. وتشير الرواية إلى انتساب ذلك إلى (شهرزاد) و (كليلة ودمنة) من التراث السردي، لكن الإشارة جاءت استعراضية وعابرة، على العكس من الإشارة الأخرى إلى مايعلق بهذا اللون السردي من استطراد تسميه عليا – وعلي– بالثرثرة. فمنذ البداية، وعبر مايصطنع السرد من طول مهاتفة عليا لعلي، وماتحكي له بدلاً من حضورها إلى حفل رأس السنة. عبر ذلك تقول عليا: "فنجان قهوة واحد يكفي لثرثرة طويلة تبدأ ولا تنتهي. ثرثرة تمتد من سفر برلك إلى الوراء، حيث يبدأ حصان الفارس المقتول في الاختفاء والغياب والحضور، إلى الأمام، الأمام، حيث سقتلي آلاف المرات".

هل الرواية إذن ثرثرة استغرقت مئات الصفحات؟ أم هو مكر الإشارة الذي سيداوله علي إذ يبادر منذ البداية استغراقه في ذكرياته وحكاياته: "لا أحب الثرثرة. واحد آخر هو الذي يسرد الآن تفاصيله القاتلة. لا أحد يهتم الآن بالتفاصيل. اختصر يا أخي اختصر". غير أن مكر الإشارة لم يحل دون الثرثرة أحياناً، وأهونه ماكان في عيد ميلاد علي، أو مانعتت به عليا حقاً حديثها مع سامي: "لقد ثرثرنا كثيراً ياسامي، ولكن هي مجرد ثرثرة". وهو مايصح على الاستطراد إلى الصين وحكاية القبرة وحكاية غرق تلاميذ مدرسة كلماخو وسواها من تجليات ضغط الإحاطة بما كان ويكون وسيكون، مما لم تبرأ منه أيضاً بعض القضايا التي خوضت فيها الرواية. وعلى الرغم من ذلك –وربما بفضله– كانت للرواية احتفاليتها الكبرى. وإذا كانت بنيتها الزمنية قد فرضت السرد الاستذكاري– والاستشرافي أيضاً– فهي لم تكتف بالجذر التاريخي والأسطوري، ولابتداعيات هذه الجذور في حاضرنا ومستقبلنا، بل مضت تحفر في الراهن، ووكدها المستقبل دوماً. وهكذا جاء بطلا الاحتفالية علي وعليا، وجاء الآخرون، أسئلة ومواجع تتقلب بين الجامعة والمعتقل والصحافة والشعر والطب النفسي والزواج والحب والصداقة والجنس والصراع العربي الإسرائيلي والمرأة المثقفة والوظيفة والطبيعة والدين والمعجزة والخرافة. وكما يليق بالرواية، كانت المخيلة الخصيبة الفائرة علامة الاحتفالية بامتياز.